

هبة الأقصى

استعادت هبة الأقصى القدس من برائن الاحتلال ولو لأيام معدودات، وأعادت عاصمة فلسطين إلى مكانها المركزي في الوعي السياسي الفلسطيني. كانت صرخة استغاثة تختلف عن صرخات الاستغاثة السابقة كافة. فالقدس التي استغاثت بناسها وشعبها، فهمت أن سيف التهديد لن يواجهه أحد سوى أبنائها، فالتحمت المدينة القديمة بشعبها، وصارت الأزقة وبوابات الأقصى المقفلة ميدان المعركة في مواجهة البوابات الإلكترونية التي أراد الاحتلال من خلالها إعلان هيمنته على المسجد الأقصى تمهيداً لإزابة المدينة الفلسطينية العربية في آلة الاستيطان والقضم الصهيونية.

كان انتصار المقدسيات والمقدسين مؤشراً إلى أفق فلسطيني جديد بدأت ملامحه تتبلور. سقط أوسلو، ومعه سقطت أوهام السلام مع محتل هدفه الثابت هو ابتلاع الأرض ونفي سكان البلد الأصليين، و/أو تحويلهم إلى منفيين في بلدهم.

صحيح أن البوابات الإلكترونية تم تفكيكها بسبب الاعتصام والصلاة والتظاهر والصمود، وأن دماء الشهداء سقت شوارع المدينة العتيقة، وأن المحتل الإسرائيلي وجد نفسه مضطراً إلى التراجع تحت الضغط الشعبي الذي لم يتوقف، لكن الصحيح أيضاً هو أن المعركة مع الاحتلال لا تزال صعبة ومعقدة وتحتاج إلى إرادة لا تلين، وإلى رؤية سياسية ونضالية جديدة ليس من أجل صدّ الهجمة الاحتلالية الاستيطانية عن القدس فقط، بل عن الضفة الغربية وغزة أيضاً.

في القدس كشفت إسرائيل عن مشروعاتها الفعلي في ترسيخ نظام فصل عنصري قائم على إعداد الأرضية من أجل استئناف التطهير العرقي. ومعركتها في الأقصى كانت محاولة لفرض أمر واقع جديد تمهيداً لتقسيم الحرم القدسي، وتحطيم رمزيته السياسية والثقافية والدينية.

القدس تواجه مشروعاً متكاملاً لتهويدها، وتجد نفسها وحيدة. عالم عربي يتفكك ويستبيحه الطغاة، وواقع فلسطيني ممزق بالانقسام، ومشلول بسبب غياب أي أفق لبناء مشروع وطني متماسك يستعيد روحية المقاومة.

أمام هذا الواقع وجد المقدسيون أنفسهم وحدهم في المواجهة، لكنهم اكتشفوا أيضاً أن نضالهم ومقاومتهم ووحدتهم هي سلاحهم في مواجهة المحتل. فاستعادوا أنفسهم وقضيتهم، وكانت هذه الاستعادة هي المدخل إلى تحقيق انتصار معنوي وسياسي وأخلاقي على المحتل.

هبة القدس ملأى بالدروس والعبر، ومن أجل الاقتراب من دروسها خصصنا هذا الملف من "وقائع القدس" لقراءة هذه الهبة من خلال مقالتي مهند مصطفى: "المسجد الأقصى ميدان التحرير" في القدس، وعبد الرؤوف أرناؤوط: "القصة الكاملة لهبة المقدسيين من باب حطة إلى باب الأسباط". كما ننشر مداخلات نور عرفة ومهي السمان ورجا الخالدي عن "تصور إسرائيل الاستيطاني وخططها في القدس الشرقية المحتلة"، وهي مداخلات تكشف الجدية الكولونيالية التي تتعامل بها إسرائيل مع مشروعها لتهويد القدس والاستيلاء عليها، والغياب شبه الكامل لمشروع وطني فلسطيني من أجل الصمود في القدس.